مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

البناء الاجتماعي عند آدموند ليتش: بحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية

حيدر علي حسن [١]

١ – الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الانثروبولوجيا والاجتماع، العراق؛
hayderali772@yahoo.com
ماجستير انثروبولوجي/ مدرس

تاريخ الاستلام:
١٣/ ٤/ ٢٠٢١
تاريخ القبول:
١١/ ٨/ ٢٠٢١
تاريخ النشر:
٣١/ ٣/ ٢٠٢٤

الكلمات المفتاحية:
البناء، البناء الاجتماعي، المبادلة.

السنة(١٣)-المجلد (١٣)
العدد (٤٩)
رمضان ١٤٤٥ هـ
آذار ٢٠٢٤م

DOI:
10.55568/amd.v13i49.265-286

ملخص البحث:

نال مفهوم البناء الاجتماعي اهتماما كبيراً من الانثروبولوجيين الاجتماعيين إلى الدرجة التي يمكن القول أن مفهوم البناء الاجتماعي يعكس منهج الانثروبولوجي الاجتماعي ومعالجته للموضوعات التي يدرسها مثل القرابة والاسطورة، فقد مثل مفهوم البناء الاجتماعي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أحد المصادر الأساسية في تطور الانثروبولوجيا الاجتماعية، ولكن تم تناوله بمعانٍ مختلفة، وقد تمثل هذا الاختلاف في ثلاثة اقطاب متنافرة وهم : رادكليف براون رائد الوظيفية البنائية من ناحية، وكلود ليفي ستراوس ممثل البنائية الفرنسية من الناحية الأخرى، اما القطب الثالث والأخير فهو آدموند ليتش، ويرجع هذا الاختلاف إلى الخلفيات التي تأثر بها كل منهم التي أدت بهم إلى إنتاج مفهوم البناء الاجتماعي على نحو مميز، وكذلك إلى طبيعة المنهج الذي يعتمد عليه، وسوف نعرض الوظيفة البنائية عند رادكليف براون حتى يمكن التعرف إلى إختلاف ليتش عنها من ناحية ولأنه ينتمي إلى هذه المدرسة البريطانية من ناحية أخرى.

CC BY NC

Social Construction of Edmund Leach: Research on Social Anthropology

Hayder Ali Hasan [1]

1- University of Al Mustansiriyah /College of Arts/ Dept of Anthropology and Sociology, Iraq; hayderali772@yahoo.com

MA in Anthropology/ Lecturer

Received:
13/4/2021
Accepted:
11/8/2021
Published:
31/3/2024

Keywords:
Construction, social construction, exchange.

Al-Ameed Journal
Year(**13**)-Volume(**13**) Issue (**49**)
Ramadhan 1445 AH.
March 2024 AD
DOI:
10.55568/amd.v13i49.265-286

Abstract:

The concept of social construction has received great attention from social anthropologists to the extent that it can be said that the concept of social construction reflects the approach of social anthropology and its treatment of the topics it studies, such as kinship and myth,the concept of social construction in the post-World War II period represented one of the main sources in the development of social anthropology, but it was dealt with in different meanings, and this difference was represented by three dissonant poles: Radcliffe Brown, the pioneer of constructivism on the one hand, and Claude Levi Strauss, the representative of French constructivism from On the other hand, the third and last pole is Edmund Leach, and this difference is due to the backgrounds that each of them affected and led to the production of the concept of social construction in a distinctive way, as well as to the nature of the approach that relies on it, and we will present the structural function of Radcliffe Brown so that it can be identified Although Leach differs from her on the one hand and because he belongs to this British school on the other hand.

المقدمة

نال مفهوم البناء الاجتماعي اهتماما كبيرا من الانثروبولوجيين الاجتماعيين إلى الدرجة التي يمكن القول أن مفهوم البناء الاجتماعي يعكس منهج الانثروبولوجي الاجتماعي ومعالجته للموضوعات التي يدرسها مثل القرابة والاسطورة، فقد مثل مفهوم البناء الاجتماعي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أحد المصادر الأساسية في تطور الانثروبولوجيا الاجتماعية، ولكن تم تناوله بمعان مختلفة، وقد تمثل هذا الإختلاف في ثلاثة أقطاب متنافرة وهم: رادكليف براون رائد الوظيفية البنائية من ناحية، وكلود ليفي ستراوس ممثل البنائية الفرنسية من الناحية الأخرى، اما القطب الثالث والأخير فهو آدموند ليتش، ويرجع هذا الاختلاف إلى الخلفيات التي تأثر بها كل منهم التي أدت بهم إلى إنتاج مفهوم البناء الاجتماعي على نحو مميز، وكذلك إلى طبيعة المنهج الذي يعتمد عليه، وسوف نعرض الوظيفة البنائية عند رادكليف براون حتى يمكن التعرف إلى اختلاف ليتش عنها من ناحية، ولأنه ينتمي إلى هذه المدرسة البريطانية من ناحية أخرى.

تأثر براون بآراء هربرت سبنسر عن المماثلة العضوية التي تعني أن المجتمع جزء من النظام الطبيعي للكون، وأنه يدخل في تركيبه؛ ولذا يمكن تصوره كبناء له كيان متماسك[١]. وكذلك فقد تأثر بفكرتي اوجست كونت عن الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية اللتين طبقهما رادكليف براون وأنتج البناء الواقعي من حيث انه متغير باستمرار، والصورة البنائية من حيث انها تتسم بالثبات، واخيراً فقد تأثر بدوركايم في اهتمامه بالتضامن الاجتماعي وقد وجدت تلك الفكرة صدى لدى براون وإن كان قد استبدليها مصطلحات التوازن والتكامل والاتساق. إلا ان ما يهم هو أن مفهوم البناء الاجتماعي لدى براون قد عكس منهجه الوظيفي البنائي كما هو الحال بالنسبة لليفي ستراوس.

إلا ان المؤثرات التي أدت بليفي ستراوس إلى صياغة مفهوم البناء الاجتماعي على أنه مبادئ عقلية خفية لا شعورية ترجع إلى عدة تأثيرات منها مقالة مارسيل موس عن الهدية حيث ان موس حاول أن يختزل تنوع أشكال أنواع التهادي إلى شكل أولي وأن يحدد المبدأ

١ أبو زيد، احمد. البناء الاجتماعي (الاسكندرية: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م)، ٣٤.

الـذي يختفـي وراء هـذه الأشـكال جميعـا ويجعلهـا قابلـة للفهـم، بالإضافـة إلى بعـض التأثـيرات الأخـرى التـي قـد تبـدو هامشـية ولكنهـا تركـت آثـاراً عميقـة في تفكـيره ومنهجـه وتفسـيراته مثـل تأثـيره بنظريـة الجشـتالت وكذلـك أفـكار فرويـد عـن اللاشـعور وتمييـزه بـين العقـل الواعـي والعقـل اللاواعـي ممـا دفعـه إلى تخصيـص فقـرة طويلـة في مقالـه عـن البنـاء الاجتماعـي عن الشـعور واللاشـعور، حـاول مـن خلالهـا أن يثبـت عـدم دقـة النـماذج الشـعورية للمجتمـع واعضائـه، وأن هـذه النـماذج الشـعورية تختفـي وراءهـا العلاقـات الاجتماعيـة (العقليـة) التـي يعتبرهـا العلاقـات الحقيقيـة الخليقـة بالبحـث والاهتـمام[٢].

أمـا آدمونـد ليتـش عـلى خـلاف الانثروبولوجيـين الاجتماعيـين البريطانيـين لم يسـتعر مفاهيمـه مـن دوركايـم والتـي أدت بهـم إلى أن يـبرزوا التكامـل الاجتماعـي والتضامـن الاجتماعـي والتماثـل الثقافي والتوازن البنائي.

امـا ليتـش فقـد اسـتعار مفاهيمـه فيـما يتعلـق بالبنـاء الاجتماعـي مـن ماكـس فيـبر وباريتـو، فحيـث ان فيـبر قـد اسـتغرق في قضايـا الدينامية الاجتماعيـة والتـي لم يهتـم بهـا دوركايـم.

نجـد أن ليتـش قـد سـعى إلى إبـراز الجانـب الدينامي ورفـض فرضيـة التضامن الاجتماعـي، وإذا كان فيـبر لم يعتـبر النمـوذج المثـالي وصفـاً للواقـع، وإنـما هـو تعبـير عنـه، أي انـه يهتـم بنسـق الأفكار، فـإن ليتـش قـد اهتـم ايضـاً بنسـق الأفـكار وهو مـا يتضح مـن تعريفـه للبنـاء الاجتماعـي بإنه:

(يتألـف مـن مجموعـة مـن الأفـكار عـن توزيـع القـوة بـين الأشـخاص وجماعـات الأشـخاص)، وكذلـك فقـد اعتـبر أن الشـعائر والاسـاطير تعبـير عـن البنـاء الاجتماعـي لـدى مجتمـع (الكاشـين) وعـلى الرغـم مـن ذلـك فلـم يهتـم ليتـش بنسـق الأفـكار في حـد ذاتـه، وإذا كان فيـبر قـد أكـد أن السـلوك الفـردي يشـكل النـواة الأساسـية التـي تلتقـي مـع سـلوك الآخـر لتشـكل التفاعل والنسـق الاجتماعـي، فقـد رآى ليتـش أن الافـراد يمكـن ان يؤكـدوا التناقـض والأفـكار غـير المتسـاوقة عـن النسـق كـما ان كل فـرد في المجتمـع يحـاول أن يسـتغل الموقـف كـما يدركـه، وبذلـك فـإن مجموعـة مـن الافـراد يمكـن أن يغـيروا بنـاء المجتمـع.

٢ السيد حامد، البنائية- كلود ليفي ستراوس (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م)، ٣٢.

اولاً: البناء الاجتماعي لدى الوظيفيين البنائيين:

اصطبغ مفهوم البناء الاجتماعي لدى براون بآراء هربرت سبنسر واوجست كونت ودوركايم، فقد تأثر راد كليف براون بآراء سبنسر عن المماثلة البيولوجية التي تقوم في أساسها على تصور الكائن العضوي وكذلك المجتمع كلاً يتألف من وحدات تتجمع وترتبط بعضها ببعض في شكل بناء متماسك، وتقوم كل وحدة بمناشط لها وظائف محددة، فأما الوحدات في الكائنات العضوية البيولوجية فهي الخلايا التي ترتبط بعضها ببعض مؤلفة بناء متكاملاً هو الجسم، ويصدر عنها مظاهر سلوكية مختلفة يمكن ملاحظتها (أي المناشط)، ويسهم كل منها بنصيب معين في حفظ كيان هذا البناء، واما الكائن العضوي الاجتماعي فيتألف بالمثل من وحدات هي الأشخاص والجماعات الذين يدخلون معاً في علاقات متبادلة، فيؤلفون بذلك البناء الاجتماعي ويتصرفون في حياتهم اليومية بطريقة معينة .

وعلى ذلك فإن البناء الاجتماعي لدى براون يتألف من وحدات هي الأشخاص او الزمور الاجتماعية التي تتألف بدورها من اشخاص، فالمهم في دراسة البناء الاجتماعي هو دراسة العلاقات الاجتماعية المتبادلة التي تقوم بين هؤلاء الأشخاص او تلك الزمر الاجتماعية، وبذلك فإن البناء الاجتماعي لدى براون لا يكون بناءً مجرداً، فهو يتألف من مجموع الكلي للعلاقات الاجتماعية في لحظة معينة من الزمن[٣].

وبناء على تركيز راد كليف براون على العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص، وإدخالها ضمن البناء الاجتماعي، فإنه لم ينفصل عن الواقع التجريبي، وعلى ذلك فإن مفهوم البناء الاجتماعي على هذا النحو لن يكون مماثلاً فيما بعد لفهم ليفي ستراوس وكذلك آدموند ليتش، وقد ترتب على تأثر براون بآراء اوجست كونت عن الاستاتيكيا الاجتماعية والديناميكيا الاجتماعية أن يميز بين نوعين من البناء هما: (البناء الواقعي) و(الصورة البنائية)، وتقضي الوظيفية البنائية لدى براون تعرف الوظيفة الاجتماعية لنظام معين في علاقته ببقية النظم والانساق الاجتماعية التي يتألف منها البناء الاجتماعي، ومن ثم فإن البناء الاجتماعي هو عبارة عن النظم والانساق الاجتماعية المتفاعلة المترابطة ترابطاً عضوياً

٣ السيد حامد، ٤٣.

وثيقاً، أي إن عمل كل منها واستمرار يتوقف على العمل الذي تؤديه بقية النظم الاجتماعية في الوقت الذي يتوقف استمر الكل الذي يحويها جميعاً أي البناء الاجتماعي، على هذا التفاعل والترابط والإعتماد المتبادل القائم بينها فعلى سبيل المثال، فلكي يبين براون الأثر الذي تسهم به المبادلة او التهادي في مجال الضبط الاجتماعي والحفاظ على التماسك الاجتماعي واستمرار البناء الاجتماعي في الوجود أي الوظيفة الاجتماعية، فإنه يعتبر المبادلة احد النظم الاجتماعية لهذا البناء الذي هو عبارة عن وحدة عضوية يقوم بين اجزائها الاعتماد المتبادل والتساند الوظيفي، ومن ناحية أخرى فإن ذلك يوضح فكرة الكل الشامل لدى راد كليف براون[٤].

ونظراً لأن طبيعة المجتمعات البدائية التي اهتم براون بدراستها؛ لا تتوفر عنها أية وثائق تاريخية فقد أغفلها التاريخ، وبذلك فإن الوظيفية البنائية ترتكز على التزامن، وبناءً على تأثر براون بدوركايم في إهتمامه بالتضامن الاجتماعي فقد اهتم بمسألة التوازن فقد رأى راد كليف براون إن البناء الاجتماعي لا يعتبر ثابتاً ولكنه يمثل حالة من التوازن من خلال إعادة تجديده باستمرار مثل الكائن العضوي الحي، فإذا ما تم إعاقة هذا التوازن فإن رد الفعل الاجتماعي بعيدة مرة أخرى، وأحياناً فإن النسق يدوم بدون تغير لأطول مدة من الزمن، وإذا حدثت إعاقة للتوازن فإن رد الفعل الاجتماعي يعيده أيضاً، ولكن في أحيان أخرى، فإن إعاقة التوازن ينتج عنها تعديل للنسق أي خلق توازن جديد يكون مختلفاً عن الذي كان موجوداً من قبل إلا ان عملية إعادة التوافق ربما تأخذ مدة طويلة من الزمن[٥].

وبناء على ما سبق فإذا كان المنهج الوظيفي البنائي منهجاً كلياً شاملاً أي إنه يهتم بالتعرف إلى الوظيفة الاجتماعية لنظام مبادلة الزواج على سبيل المثال في علاقته ببيقة النظم الاجتماعية والأنساق التي يتألف منها البناء الاجتماعي، فإن ليتش وإن كان قد أهتم بفكرة الكل إلا إن ذلك يتم في ضوء تحديده لنموذجين من الأفكار يعبران عن الانساق الاجتماعية عند (الكاشين) وهما: (الجوملاو الديمقراطي او المساواتي) ونموذج (الجومسا ذو التدرج الهرمي) فعلى سبيل المثال لكي يتم فهم مبادلة الزواج لدى الجوملاو لابد من تعرف مبادلة الزواج لدى نموذج الجومسا.

٤ Cliffe-Brown, Rad "Introduction", In, Afrlenn Syatems of Kinship and Marriage, ed. Cilffe-Be-own Rad and D. Ford (London and New York, 1987).

٥ ستراوس، كلود ليفي. الاناسة البنيانية . ترجمة قبيسي، حسن (المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م)، ٢٩٩.

وإذا كان براون قد أهمل التاريخ وبذلك يرتكز المنهج الوظيفي البنائي على التزامن، فإن ليتش قد اعتمد على التاريخ لكي يكشف عن الطبيعة الخيالية في فرضيته التوازن، وإذا كان راد كليف براون قد اهتم بالتوازن فقد أبرز ليتش الجانب الدينامي في معالجته للبناء الاجتماعي.

ثانياً: مفهوم البناء الاجتماعي عند ليفي ستراوس (البنائية الفرنسية)

رأى هوجونوتيني H.Nutuni أن مفهوم البناء الاجتماعي بالنسبة لليفي ستراوس لا يكون مجالاً للبحث أو الدراسة، ولكنه نموذج تفسيري يمكن تطبيقه، فهو يرى أن الهدف من دراسات البناء الاجتماعي هو فهم العلاقات الاجتماعية بمساعدة النماذج، وكذلك فإن مصطلح البناء الاجتماعي ليست له علاقة بالواقع التجريبي، ولكن بالنماذج التي تتأسس بعده فهذا التصريح هو نتيجة التمييز الذي يضعه بين مفاهيم البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية.

أما بالنسبة لليفي ستراوس فإن العلاقات الاجتماعية هي المادة الأولية التي تهدف إلى تأسيس النماذج التي تجعل البناء الاجتماعي بارزاً وظاهراً، فالبناء الاجتماعي لا يمكن ان يرد إلى مجمل العلاقات الاجتماعية التي تقع تحت الملاحظة في مجتمع معين[٦].

ولذلك فقد انتقد ليفي ستراوس مفهوم البناء الاجتماعي لدى راد كليف براون فهو يقرر أن البناء الاجتماعي يظهر في أعمال براون كشئ لا يختلف ابداً عن الإطار الكلي للعلاقات الاجتماعية بحيث أدى به ذلك إلى اعتبار أبسط أشكال تلك العلاقات التي تقوم بين شخصين (العلاقات الثنائية) جزءاً من البناء الاجتماعي.

فالبناء الاجتماعي عند ستراوس هو مجموعة من المباديء العقلية الخفية التي تكمن خلف النظم والظواهر الاجتماعية في المجتمعات كافة، وذلك على أساس تشابه التكوين العقلي لدى البشر، ولن يتيسر فهم البناء الاجتماعي على هذا النحو إلا إذا تم التعرف الى التأثيرات التي شكلت بنائية ستراوس، فبنائية ستراوس تهدف إلى كشف الطبيعة الخفية للتفكير لكي توضح كيف تتضح عمليات التفكير الإنساني في المواقف المتنوعة ثقافياً وباتباع اللغويات فإن البنائية تهتم بالبناء العميق الكامن خلف الظواهر الثقافية، فالبنائية اقل اهتماماً بالواقع الظاهر للملامح

٦ - Lett, James W. The Human Enterprise: A Critical Introduction To Anthropological Theory (London: westview press, 1997).

السطحية ولكنها أكثر اهتماماً بالواقع الكامن للملامح الخفية، وفي هذا الصدد فقد تأثر ليفي ستراوس بالمنهج اللغوي لدى دي سوسير DE Saussur، فكما ان النظام اللغوي مستقر عند أفراد اللغة في اللاوعي، ومهمة البحث اللغوي أن يستخرج تلك العناصر والعلاقات المكونة للنظام اللغوي، فإن ستراوس قد رأى أن مهمة الباحث الانثروبولوجي هي الكشف عن المبادئ العقلية أو المنطقية اللاشعورية الخفية المستترة خلف الظواهر المدركة العيانية، وهو ما يشير إلى تأثره بدي سوسير. وكذلك تأثيره بجاكبسون وتروبتسكوي فقد تمثل في التأكيد على أن لدى العقل ميولاً طبيعية لصياغة التقابلات الثنائية[٧].

يتميز المنهج البنائي لدى ستراوس بأنه منهج جدلي، وذلك من خلال اعتماده على التقابلات الثنائية، فعلى سبيل المثال لكي يكشف عن البناء المنطقي خلف مجموعة من الأساطير فقد اعتمد على التناقضات الداخلية بين الاساطير، كما يتضح ذلك من تخصيصه لفصل خاص في كتابه (الانثروبولوجيا البنائية) بعنوان البناء والجدل.

وفيما يتعلق بالتقابلات الثنائية التي تؤكد الناحية الجدلية، فالبناء الاجتماعي عند ليفي ستراوس: هو مجموعة من المبادئ العقلية الخفية التي تكمن خلف النظم والظواهر الاجتماعية في المجتمعات كافة، وذلك على أساس تشابه التكوين العقلي لدى البشر، ولن يتيسر فهم البناء الاجتماعي على هذا النحو إلا إذا تم على التأثيرات التي شكلت بنائية ليفي ستراوس، فبنائية ستراوس تهدف إلى كشف الطبيعة الخفية للتفكير لكي توضح كيف تتضح عمليات التفكير الإنساني في المواقف المتنوعة ثقافياً. فالبنائية أقل اهتماما بالواقع الظاهر للملامح السطحية ولكنها أكثر اهتماما بالواقع الكامن للملامح الخفية، وفيما يلي فإن إحدى هذه التقابلات الثنائية وهي الطبيعة والثقافة، فهو يؤكد أن الأبنية الأولية للقرابة ترتكز على الجنس وهو بيولوجي بالطبع، وقد انسلخ عنه مبدأ تجنب الزنا بالمحارم وما فرض من عناصر ثقافية متنوعة وبالذات تبادل النساء او الأخوات وهو مبدأ ثقافي، فمبدأ تجنب الزنا بالمحارم هو الرابطة بين الطبيعة والثقافة، والحقيقة الطبيعية هي الغريزة الجنسية، وهي تفرض الممارسة الجنسية أي التقاء الجنسين، او بمعنى آخر تفرض التفاعل الاجتماعي،

٧ السيد حامد، البنائية- كلود ليفي ستراوس ٨٠_٨١.

فالنشاط الجنسي اجتماعي بطبعه، وهو ما يتمثل بكل وضوح في مرحلة النضج، فهو إذن طبيعي واجتماعي معاً، وباعتباره اجتماعيا فلا بد أن يلتزم بقاعدة سلوكية او معيار، وهكذا يكون النشاط الجنسي ثقافياً، وهذه القاعدة السلوكية الملزمة هي تجنب الزنا بالمحارم، وهي مبدأ عام في جميع المجتمعات الإنسانية في كل زمان ومكان.

ومن القضايا الأساسية للبنائية الفرنسية هي أنها أحيت منهج التقاطع الثقافي، الذي يهدف إلى المقارنة بين الثقافات في الجوانب التي تتشابه فيها، وكان هذا الاحياء بأسلوب جديد، فقد اهتمت الانثروبولوجيا الاجتماعية بعد الحرب العالمية الأولى بالمنهج المقارن، وقد عبر ليفي ستراوس بأسلوب فريزر وليس بأسلوب مالينوفسكي، فقد اهتم فريزر بالكشف عن التشابهات الظاهرة بينما هي تشابهات ضمنية خفية لدى ستراوس، أما مالينوفسكي فقد اعتقد باستطاعة الباحث الانثروبولوجي ان يفهم الطبيعة البشرية من دراسة مجتمع واحد فقط، إلا إن ستراوس سعى إلى الكشف عن المبادئ العقلية الخفية التي تكمن خلف النظم والظواهر الاجتماعية في كافة المجتمعات وذلك على أساس تشابه التكوين العقلي لدى البشر ففي دراسته للزواج أوضح ان مبدأ تجنب الزنا بالمحارم ومبدأ المبادلة هما مبدآن بنائيان يحكمان مبادلة الزواج بين كافة المجتمعات[٨].

يتضح مما سبق أن:

البنائية منهج للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية، ويمكن تحديد هذا المنهج في خطوتين أساسيتين: **الأولى**: الدراسة الاثنوجرافية او الميدانية او حسب تعبير ليفي ستراوس (الملاحظة الاثنوجرافية) او الخبرة في مجتمع واحد ثم لعدد أو فئة من المجتمعات مع الاعتماد على التاريخ لأنه يوفر للباحث معلومات ضرورية، وتهدف هذه الخطوة الى الكشف عن المبادئ العقلية او بتعبير آخر الأبنية العقلية اللاشعورية، أي النماذج وهذه المرحلة حسب تعبير ستراوس هي مرحلة تكوين او صياغة النماذج على أساس أن النموذج أداة للمعرفة مجردة واستنباطية، مع العلم بأن النموذج هو بناء (أي بناء عقلي) لمجتمع معين بالذات، وقد توصل الباحث اليه عن طريق التجريد أي استبعاد واهمال واختزال الوقائع الفعلية المتغايرة،

٨ ليتش، آدموند و ستراوس، كلود ليفي البنيوية ومشروعها الانثروبولوجي. ترجمة ثائر، ديب، د.ت ٣٦.

وهـذا البنـاء قـد يكـون المبـدأ المنطقـي لظاهـرة اجتماعيـة كليـة او نظـام اجتماعـي، وهكـذا يكـون قانونهـا الـذي يفسرهـا وقـد يكـون مجموعـة المبـادئ العقليـة لبنـاء مجتمـع وتنظيمـه الاجتماعـي، ومـن ثـم يكـون البنـاء الاجتماعـي لـكل مجتمـع مـن المجتمعـات الإنسـانية، وذلـك عـلى أسـاس تأكيـده المستمر بتماثـل القـدرات العقليـة لـدى جميـع البـشر نتيجـة بالطبـع لتماثـل التكويـن العقـلي للإنسـان، وعندئـذ يكـون الباحـث الانثروبولوجـي الاجتماعـي قـد بـدأ الخطـوة الثانيـة وهـي المقارنـة او إجـراء التجـارب بـين النـماذج، حسـب تعبـير ليفـي سـتراوس بمعنـى إجـراء مجموعـة العمليـات التـي تهـدف إلى معرفـة طريقـة استجابة نمـوذج مـن النـماذج حـين يدخـل عليـه بعـض التعديـل، وكذلـك إلى مقارنـة النـماذج التـي مـن نفـس النـوع او مـن أنـواع مختلفـة، وذلـك بقصـد الكشـف عـن البنـاء الاجتماعـي أي النمـوذج المرجعـي الـذي صـدرت عنـه تلـك النـماذج جميعـاً، وقـد نالهـا بعـض التعديـل او التحويـل تبعـاً لظـروف المـكان والزمـان لـكل مجتمـع مـن المجتمعـات او للمجتمـع الواحـد في أزمنـة مختلفـة، فعـلى ضـوء النمـوذج المرجعـي فـإن الباحـث الانثروبولوجـي يمكـن ان يعتمـد عليـه في إجـراء بحـث لأي مجتمـع مـن المجتمعـات الإنسـانية او أي نظـام اجتماعـي او ظاهـرة اجتماعيـة عامـة، وبذلـك فـإن الباحـث يكـون قـد حصـل عـلى مبـدأ التفسـير الـذي يصلـح لتفسـير نظـم اجتماعيـة وتقاليـد أخـرى، كـما انـه يمكـن بالطبـع اسـتمرار الاعتـماد عليـه في إجـراء البحـوث إلى أبعـد الحـدود، فالعلاقـة اذن قائمـة وواضحـة بـين مـا هـو عـام شـامل (البنـاء الاجتماعـي) مـن ناحيـة ومـا هـو خـاص منفـرد (النمـوذج) مـن ناحيـة أخـرى او بـين مـا هـو ثابـت ومـا هـو متغـير[٩].

فعـلى سـبيل المثـال، فعنـد دراسـة نظـام الـزواج كحالـة تطبيقيـه عـلى المنهـج البنائـي، فـإن الخطـوة الأولى هـي الدراسـة الميدانيـة لمجتمـع ثـم لعـدد مـن المجتمعـات، وبالطبـع سـتختلف نظـم الـزواج لـدى كل مجتمـع وتهـدف هـذه الخطـوة إلى تأسـيس نمـوذج (بنـاء عقـلي) لـكل مجتمـع مـن المجتمعـات، امـا الخطـوة الثانيـة فهـي المقارنـة او اجـراء التجـارب بـين النـماذج بـصرف النظـر عـن الاختـلاف بينهـا فإنـه سـيتوصل إلى المبـادئ العقليـة الخفيـة التـي تحكـم نظـم الـزواج كافـة وهـما مبـدأ تجنـب الزنـا بالمحـارم والمبادلـة.

٩ Kuper, A. Interview with Edmund Leach (London: Routledge, 1996), 174.

ثالثاً: تطبيق ادموند ليتش للمنهج البنائي

كان هدف ليتش من تطبيق التحليل البنائي هو اكتشاف كيفية استخدام العلاقات الموجودة في الطبيعة كما تدركها العقول البشرية في توليد منتجات ثقافية تشتمل على هذه العلاقات نفسها، وبما ان العقول البشرية نفسها موضوعات طبيعية، وبما إنها متماثلة في جوهرها عند جميع الافراد من نوع الانسان العاقل، فإن عملية توليد المنتجات الثقافية لابد أن يضفي عليها العقل البشري ما يتميز به من خصائص طبيعية، وبناءً على ذلك، تحقق من وجهة نظر ليتش، اكتشافات تتعلق بطبيعة الانسان[١٠].

إلا إن ذلك لا يعني ان ليتش كان بنائياً على وتيرة ليفي ستراوس، ولكن يمكن القول إن تأثير ليفي ستراوس تمثل في تطبيق ليتش لفكرة التقابلات الثنائية التي يرتكز عليها منهج التحليل البنائي، وفيما يلي مثال يوضح تطبيق آدموند ليتش للمنهج البنائي.

١. الإشارات الضوئية

يتعلق هذا المثال بألوان الطيف بإعتبارها (طبيعية) في علاقتها بالإشارات الضوئية، فطيف الألوان الذي يتراوح بين البنفسجي والاحمر مروراً بالأزرق والاخضر والاصفر هو كل متصل لا وجود فيه لحد طبيعي يتحول عنده الأخضر إلى الأصفر او الأصفر إلى الأحمر، وقدرة العقل البشري هو ما يجزئ هذا الكل المتصل إلى أجزاء بحيث نشعر أن الأزرق والاخضر والاصفر والاحمر، الوان مختلفة تماماً، وتبعاً لآلية العقل المنظمة هذه، يمكن لكل شخص غير مصاب بعمى الألوان أن يتعلم الإحساس أن الأخضر يقابل الأحمر مثلما يقابل الأسود الأبيض، ولذا نجد من الملائم ان نستخدم الإشارات الحمراء والخضراء كما لو انها تتماشى مع (+ و–) كما نقوم بعدد من عمليات التقابل لا نضع فيها الأحمر يتعارض مع الأخضر وحسب، بل مع الوان أخرى ايضاً، وخاصة الأبيض والأسود والازرق والاصفر[١١].

وفيما يتعلق بالإشارات الضوئية سواء على الطرق او السكك الحديدية، فإن الأخضر يعني (سر) اما الأحمر فيعني (قف)، الا ان ليتش يحتاج إلى إشارة أخرى ذات معنى تقع

١٠ M Harris, Culture Materialism: The Struggle for Science of Culture (New York: Random House, 1979).

١١ ليتش و ستراوس، البنيوية ومشروعها الانثروبولوجي٢٦.

وسطاً بين المعنيين السابقين، (تهيأ للوقوف)، (وتهيأ للسير) فيختار اللون الأصفر، وذلك انه يقع بين الوان الطيف في منتصف المسافة بين الأخضر والاحمر، فترتيب الألوان في هذا المثال(اخضر- اصفر- احمر) هو ترتيب للألوان نفسها (سر- تهيأ- قف) فنظام الألوان ونظام الإشارات لهما البنية نفسها وكلٌّ منهما هو تحويل للآخر، لكن كيف يتم التوصل إلى هذا التحويل:

أ-يوجد طيف الألوان في الطبيعة كمتصل.

ب-يفسر العقل البشري هذا الكل المتصل كما لو أنه مؤلف من أجزاء منفصلة.

ج-يبحث العقل البشري عن تمثيل ملائم للتقابل(+/ -) ويختار الزوج أخضر وأحمر.

د- لا يرضى العقل البشري عن الانفصال الناجم عن إقامة هذا التقابل فيبحث عن موقع وسط: (لا + / لا-).

هـ-عندئذ يعود العقل البشري إلى المتصل الطبيعي الأصلي، ويختار الأصفر كإشارة وسطى نظراً لقدرة العقل على إدراك الأصفر بوصفه جزءاً أوسط واقعاً بين الأخضر والاحمر.

و- وهكذا يكون النتاج الثقافي البنائي- الإشارات الضوئية الثلاثة- محاكاة مبسطة لظاهرة موجودة في الطبيعة- طيف الألوان- على النحو الذي يدركها به العقل البشري.

فقد طبق ليتش كما هو واضح العلاقات الموجودة في الطبيعة كما يدركها العقل البشري، فقسم طيف الألوان باعتباره طبيعياً وذلك من خلال الاعتماد على التقابلات الثنائية التي تتوسطها فئات وسيطة تمثل اطرافاً شاذة إلى اخضر- أصفر- أحمر، في توليد منتجات ثقافية أي الإشارات الضوئية (سر- تهيأ- قف).

وإن كان هذا يمثل تبسيطاً للتحليل البنائي، إلا ان التحليل البنائي يحتاج إلى البدء بوضع كل التباديل الممكنة، حيث يشتمل المنهج على العمليات التالية:

١. حدد الظاهر بوصفها علاقة بين اثنين او أكثر من الحدود او العناصر الحقيقية او المفترضة.

٢. ضع جدولاً للتبادل بين هذه الحدود.

٣.تناول هذا الجدول بوصفه الموضوع العام للتحليل، هذا التحليل الذي لا يمكن من كشف الروابط الضرورية إلا عند هذا المستوى، فالظاهرة التجريبية لا تكون عند بداية النظر فيها سوى تركيب واحد من بين عدد من التراكيب الممكنة الأخرى، والتي ينبغي بناء نظامها مقدماً، وعلى الرغم من أن ليتش قد طبق التحليل البنائي لكلود ليفي ستراوس كما هو واضح من اعتماده على التقابلات الثنائية التي تتوسطها فئات وسيطة، ومع ذلك فقد وجه انتقادات مهمة تبلور موقفه من البنائية[١٢].

رابعاً: الانتقادات التي وجهها آدموند ليتش للبنائية الفرنسية

قبل الولوج إلى الانتقادات التي قدمها آدموند ليتش لابد من الإشارة إلى انه إذا كان آدموند ليتش قد اعتبر أن موضوع الانثروبولوجيا الاجتماعية الذي يتفق عليه سائر الانثروبولوجيين هو السلوك الاجتماعي للكائنات الإنسانية، فإنها عند ليفي ستراوس فرع من علم العلامات Semiohogy ومن هنا يرى ليتش أن إهتمام ليفي ستراوس ينصب على البناء المنطقي الداخلي لمدلولات الرموز، فأنساق الزواج على سبيل المثال في المجتمعات المختلفة تعتبر متغيرات لبناء منطقي عام ومستتر، وتتبلور هذه الانتقادات في عدم اهتمام ليفي ستراوس بتنظيم اجتماعي محدد، وعلى العكس فإن ليتش قد أرتبط بنسق اجتماعي محدد واهتم بنسق الأفكار كما هو واضح من اعتباره ان مجتمع الكاشين يتضمن ثلاثة نماذج وهم نسق (الجوملاو الديمقراطي او المساواتي ونسق الشأن ذو التدرج الهرمي ونسق الحومسا) الذي يجمع بينهما، كما إن هذه النماذج توضح كيف يعمل النسق الاجتماعي، او بقول آخر فقد حاول ليتش ان يقارب الصورة المنطقية إلى ارض الواقع الملاحظ. وفي هذا الصدد، فقد انتقدت كذلك (ماري دوجلاس M.Douglas) ليفي ستراوس بقولها فلم يعد مألوفاً أن نقدم تحليلاً لنسق متشابك من فئات الفكر التي ليست لها علاقة مثبتة بالحياة الاجتماعية للناس الذين يفكرون في هذه المصطلحات[١٣].

وكذلك فقد انتقد (مارفن هاريسM.Harris) ليفي ستراوس على اعتبار أنه لا يهتم

١٢ ليتش و ستراوس، ٢٦.

١٣ لومبار، جاك. مدخل إلى الاثنولوجيا. ترجمة قبيسي، حسن (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م)، ١٩٤.

بالجانب التجريبي قائلاً:"ان الالتجاء إلى البنائية يكون على أساس انها تسمح لأنثروبولوجي المكتب التعامل مع مجموعة من الاساطير او مصطلحات القرابة في المجتمعات بعيداً عن السياق الحي الذي تجمع منه المادة اصلاً"[١٤].

وقد أخذ ليتش على ليفي ستراوس إنبهاره بالكمال المنطقي للانساق لدرجة أنه لا يعترف بالوقائع التجريبية، وفي هذا يقول ليتش يتم شرح الأفكار المنطقية بواسطة ادلة اثنوغرافية ملاءمة مزعزمة، دون أي انتباه للأمثلة السلبية الموجودة بكثرة، فإذا كان ليفي ستراوس قد اعتبر ان مبدأ تجنب الزنا بالمحارم مبدأ عام كامن في كل المجتمعات الإنسانية، وإنه لا يمكن أن يبقى نسق اجتماعي يسمح بزواج الإخوة والأخوات، فإن ليتش قد رفض ذلك على أساس بقاء تسجيلات أوراق البردي عن تعداد السكان الذي يعود إلى مصر الرومانية في اثناء القرنيين الأول والثاني من العصر المسيحي أثبتت أن الزواج بين الاشقاء كان يتكرر على نحو مألوف بين الأعضاء من طبقة الزراع، ومنذ ان قضى الرومانيين على هذا الانحراف الأخلاقي، يبدو أن هذه الممارسة حدثت في مصر منذ الزمن السحيق، ويعتبر نقد ليتش لموقف ليفي ستراوس من الدراسة الميدانية في ارتباطها بتأسيس النماذج اهم الانتقادات التي وجهها له. وفي هذا الصدد يرى ليتش أن ليفي ستراوس لم يتمكن في كل رحلاته البرازيلية من المكوث في مكان واحد أكثر من بضعة أسابيع في كل مرة، وإنه لم يكن قادراً على مخاطبة أي من الاخباريين من أبناء المنطقة بلغتهم الأصلية على نحو يسير، وعلى الرغم من وجود كثير من أنواع الاستقصاء الانثروبولوجي، مثل أسلوب مالينوفسكي القائم على العمل الميداني الكثيف في استخدام اللغة العامية والذي يمثل تقنية البحث المعيارية التي يستخدمها جميع الانثروبولوجيين الانجلو-أمريكيين، إلا ان هذا الإجراء من وجهة نظر ليتش، يختلف تماماً عن الوصف الدقيق للعادات والسلوكيات لكن دون قدرة على قيمها والإحاطة بها والقائم على استخدام مترجمين ومخبرين معينين، فقد كانت هذه الطريقة هي المصدر الأصلي لمعظم الملاحظات الاثنوجرافية التي اعتمد عليها ليفي ستراوس شأن اسلافه من اتباع فريزر، وكذلك فإن النقطة التي ينفذ ليتش للنقد منها والتي ترتبط ايضاً بموقف ليفي ستروس من

١٤ السيد حامد، البنائية- كلود ليفي ستراوس٣٥.

الدراسات الميدانية وانغماسه في النماذج هي ان الانثروبولوجي الذي يزور لأول مرة مجتمعاً بدائياً جديداً، ويعمل بمساعدة مترجمين اكفاء قد يتمكن بعد اقامته بضعة أيام فقط من تأسيس نموذج ذهني شامل للكيفية التي يعمل بها النظام الاجتماعي، ولكنه عندما يمكث هناك ستة اشهر ويتعلم اللغة المحلية فلن يبقى من ذلك النموذج الأصلي إلا اقل القليل، وعندئذ فإن فهم الكيفية التي يعمل بها النظام أمر باهظ وعسير أكثر مما بدا عليه بعد يومين من وصوله، وعلى ذلك يرى ليتش أن ليفي ستروس لم تتح له ابداً فرص خوض غمار الدراسة الميدانية المثبطة للعزيمة، ولم يواجه ابداً ما تنطوي عليه من قضايا يعالجها، وفي حين يفترض ليفي ستروس في جميع كتاباته أن المرحلة البسيطة الأولى المتمثلة في تأسيس نموذج قائمة على انطباعات الملاحظ الأولية، فإنها مرحلة تأتي منسجمة مع واقع اثنوجرافي فعلي هو النموذج الشعوري الموجود في اذهان الاخباريين الذين يدرسهم الاثنوجرافي، وبالمقابل فإن الانثروبولوجيين من ذوي الخبرة الميدانية الواسعة والمتنوعة لا يرون في هذا النموذج الأولى أكثر من خليط من الافتراضات السابقة والمتحيزة الغاصة بالملاحظ، وعلى ذلك فإن ليفي ستروس مثل جيمس فريزر لم يكن يتمتع بتلك الروح النقدية الكافية تجاه مخبريه ومصادر معلوماته، ولكنه يبدو أنه كان قادراً دوما على إيجاد ما يبحث عنه، ومستعداً لنقل اية أدلة مهما كانت موضع شك، ما دامت تتلاءم مع توقعاته المحسوبة منطقياً، اما إذا كانت المعطيات معاكسة للنظرية، فإن ليفي ستروس اما ان يلتف حول الأدلة ويتجاوزها او يرفضها[١٥].

وبذلك فإن نقد ليتش لليفي ستروس فيما يتعلق بإهماله للواقع الاجتماعي وكذلك عدم اهتمامه بتقنيات الدراسة الحقلية مثل مدة الإقامة وتعلم لغة الأهالي، ويؤكد أن ليتش انثروبولوجي اجتماعي وظيفي ولكن ليس بمعنى ما قبل الاربعينات، فلم يحاول ليتش نقل صورة الواقع كما هي ولكنه عبر عن ذلك الواقع في صورة نماذج توضح كيف يعمل النسق الاجتماعي، كما إنه لم يحاول البحث عن القوانين وبذلك فقد رفض علمية الانثروبولوجيا، كما انه قد استعاد اللاتزامن بدلاً من الاقتصار على دراسة المجتمع كما هو في حالته الراهنة على أساس أن المجتمع يصبح مجموعة من المتغيرات، كما ان التعميم استقرائي يشتمل على

١٥ ليلة، علي. النظرية الاجتماعية المعاصرة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م)، ٥٦.

المبادئ العامة في ظروف الحالات الخاصة، إلا ان المبدأين اللذين حددهما ليتش يرتبطان بالتنظيم الاجتماعي في الكاشين.

ومن ثم فإن ليتش يختلف عن ليفي ستروس الذي اهتم بالبحث عن المبدأ العقلي الخفي اللاشعوري للمبادلة، والذي يكمن خلف المجتمعات الإنسانية كافة، كما إنه يتعارض مع الوظيفيين البنائيين، فهو لم يسع إلى دراسة وظيفة نظام في المحافظة على البناء الاجتماعي واستمراره، وانما حدد عدة نماذج في ضوئها يمكن فهم كيفية عمل النسق الاجتماعي ولا تنفصل هذه النماذج عن الواقع الاجتماعي فهي ترتبط بتنظيم اجتماعي محدد[١٦].

خامساً: المبادلة بين آدمون ليتش ومالينوفسكي

بناءً على اهتمام ليتش بالاتصال بسبب اهتمامه بالاتجاه البنائي الفرنسي كما هو واضح من كتابه "الثقافة والاتصال" ١٩٧٦، ولكن يطور نظرية المبادلة لدى مالينوفسكي فقد رأى ليتش ان المبادلة لا تكون شيئاً ما فقط ولكنها تعبر عن شيء ما، فلو انني أعطيتك هدية فإنك ملزم اخلاقياً بأن ترد إليّ هدية، وفي المصطلحات الاقتصادية فإنك مدين إليَّ، ولكن في المصطلحات الاتصالية فإن الالتزام بالمبادلة يكون تعبيراً عن الشعور المتبادل بأن كلينا ينضم إلى السياق الاجتماعي نفسه وعلى ذلك فإن المبادلة تمثل جانباً تعبيرياً بالنسبة لليتش، فقد رأى أن الطريقة التي يتم بها تبادل الهدايا تقول شيئاً ما، عن العلاقات القائمة بين الافراد من حيث إرتباطها بالمساواة او عدم المساواة في المكانة، وفي ذلك يقول ليتش: فلو انك رددت إلى هديتي بأسلوب مماثل تماماً، كأس من عصير البرتقال بكأس من عصير البرتقال فإن السلوك يعبر عن المساواة في المكانة، ولكن لو أن المبادلة تتضمن هدايا مختلفة في النوع- انا أقوم لك بعمل وانت تعطي الأجر- فإن السلوك يعبر عن عدم المساواة في المكانة.

وبذلك اختلفت رؤية ليتش للمبادلة عن رؤية مالينوفسكي في دراسته لنظام الكولا Kulla التي اعتبرها نسقاً للمبادلة يقوم بين نمطين رئيسين من الثروات في نظر المعنيين به، **أولهما**: العقود المصنوعة من الأصداف الحمراء، **ثانيهما**: الأساور التي تتكون هي الأخرى من أصداف بيضاء، ويتم تبادل الاساور والعقود بين طرفين فيعطى (أ إلى ب) أساوره ويلتقي

١٦ السيد حامد، البنائية- كلود ليفي ستراوس٤٣.

ب على الفور او بعد حين عقداً، والمبدأ الذي تستند اليه الكولا كما حدده مالينوفسكي هو أهمية التعامل بالمثل في الحياة الاجتماعية او حسب تعبير جاك لومبار إن هذا المبدأ يظل محكوماً بلعبة اعطني لأعطيك[١٧].

ويرى ليتش أن الكولا من وجه نظر مالينوفسكي، تركز على الناحية النفعية في حين أنها تكون بلا فائدة نفعية، ويتساءل ليتش لماذا هي مستمرة؟

وبينما يتملص مالينوفسكي من النقد بأنه ليس ضمن مهمة الاثنوغرفي أن يدخل تفسيرات خاصة في مادته، يقرر ليتش أن مالينوفسكي كان مخطئاً من خلال اقتناعه بأن هذا السلوك لابد أن تكون له غاية نفعية، وفي الواقع فإن مالينوفسكي يؤكد بذلك نظريته للثقافة ويتفق معها باعتبارها أدوات ووسائل لإشباع الحاجات، اما رؤية مارسيل موس للمبادلة في مقالته عن الهدية والتي مثلت إسهاماً تأثر به ليفي ستراوس، فقد حاول فيها موس أن يتوصل إلى الشكل الأول للتهادي مثال ذلك نظام البوتلاش والكولا وغيرها. بمعنى آخر حاول أن يختزل تنوع اشكال التهادي إلى شكل اولي، وأن يحدد المبدأ الذي يختفي وراء هذه الاشكال جميعاً ويجعلها قابلة للفهم.

كذلك فقد رأى موس أن نمط البوتلاش مثل نمط الكولا يمثل رمزاً للجوانب المتناقضة مثل الصداقة والعدوانية التي تشكل العناصر المكونة للبناء الاجتماعي، فهي تفسير مجرد من وجهة نظر ليتش، يؤكد أن التروبرياندیين في أدائهم لشعائر الكولا يتم بأسلوب رمزي وانهم يقولون شيئاً، Saying Thing كل منهم للأخر التي يعبرون عنها بالكلمات، فموس يرى ان إعطاء الهدية سلوك رمزين أسلوب يقدم تعبيرات، وقد تأثر ليتش بتلك الرؤية، بينما يرفض ليتش رؤية مالينوفسكي ان إعطاء الهدية تقتصر على الفائدة النفعية لتحقيق نتائج مرغوبة.

وعلى ذلك فإن رؤية موس تتضمن نسقاً للاتصال بمعنى آخر ان إعطاء الهدية لغة، وفي هذا الصدد يتفق ليتش مع ليفي ستراوس في أن المجتمع هو عبارة عن نسق اتصال، يضم إلى جانب تبادل النساء أنواعاً أخرى من التبادل وبخاصة تبادل السلع ورموز المكانة، إلا ان الأمر المهم لدى ليفي ستراوس هو بناء نسق الاتصال وليس أطراف التبادل او من

١٧ السيد حامد، ٤٤.

الـذي يقـوم بالاتصـال، فقـد سـعى ليفـي سـتراوس إلى الكشـف عـن العموميـات العقليـة، امـا ليتـش فقـد ربـط كـما هـو واضـح المبادلـة بالمسـاواة او عـدم المسـاواة في المكانـة، وهـو يتضـح مـن دراسـته لمجتمـع الكاشـين بورمـا ١٩٥٤، فالزعيـم قـد يتـزوج امـرأة مـن جماعـة الزعيـم الآخـر، وبذلـك تكـون مسـاواة في المكانـة، او إن إحـدى النسـاء مـن جماعـة الزعيـم قـد تتـزوج رئيـس إحـدى الجماعـات التي تخضـع سياسـياً تحـت ولايـة الزعيـم، وبذلـك فـإن الرجـال يتزوجـون مـن النسـاء الأعـلى مكانـة عـلى أسـاس الاعتبـارات الاقتصاديـة السياسـية، وهكـذا جـاءت رؤيـة ليتـش للمبادلـة متميـزة عـن رؤيـة مالينوفسـكي للمبادلـة[١٨].

الخاتمة

مـن الواضـح أن آراء ليتـش فيـما يتعلـق بالبنـاء الاجتماعـي والقرابـة والاسـطورة تتفـق مـع مـا صرح بـه، فقـد كان تلميـذاً لمالينوفسـكي في يـوم مـن الأيـام، ومـا زال وظيفيـاً، مـع انـه أدرك مـا تتصـف بـه وظيفتـه مـن عيـوب، وعـلى الرغـم مـن إنـه قـد اسـتخدم في بعـض الأحيـان مناهـج ليفـي سـتراوس البنائيـة لإلقـاء الضـوء عـلى ملامـح محـددة في أنظمـة ثقافيـة محـددة، فـإن الفجـوة بـين موقفـه عمومـاً وموقـف ليفـي سـتراوس تبقـى فجـوة واسـعة جـداً.

إلا ان هـذا التصريـح أصـاب الكثـير مـن الانثروبولوجيـين بالحـيرة أمثـال (هوجونوتينـي) فيـما إذا كان ليتـش بنائيـاً عـلى شـاكلة ليفـي سـتراوس او لا، وكذلـك جيمـس بـون (J.Boon) في كتابـه (قبائـل أخـرى ومخطوطـات أخـرى، ١٩٨٢)، فقـد رأى أن ليتـش حـاول ان يضـع قدمـاً مـع البنائيـة والعقلانيـة والجدليـة مـن جهـة وعـدة أقـدام مـع الوظيفيـة والتجريبيـة الوضعيـة مـن جهـة أخـرى، إلا ان تأثـير مالينوفسـكي وليفـي سـتراوس يتضـح مـن النتائـج الآتيـة:

١. تمثـل تأثـير مالينوفسـكي في ارتبـاط ليتـش بالواقـع الاجتماعـي، وعـلى الرغـم مـن ذلـك جـاء موقـف ليتـش أكثـر تطويـراً لوظيفيـة مالينوفسـكي، فـإذا كانـت وظيفيـة مالينوفسـكي تقتـضي النظـرة الكليـة الشـاملة للنظـام، فـإن وظيفيـة ليتـش تعتمـد عـلى التعميـم عـلى نحـو ريـاضي، ولذلـك فإنهـا وظيفيـة رياضيـة، فالتعميـم برؤيـة رياضيـة إسـتقرائي يشـتمل عـلى المبـادئ العامـة في ظـروف الحـالات الخاصـة، وقـد شـكل التعميـم عـلى هـذا النحـو نظرتـه إلى المجتمـع

١٨ لومبار، مدخل إلى الاثنولوجيا١٩٨.

بأنه مجموعة من المتغيرات وليس مجموعة من الأجزاء ووفقاً لذلك فإن وظيفية ليتش الرياضية لا تهتم بالعلاقات بين أجزاء الكل ولكن بالمبادئ الموجودة في الانساق الجزئية كما إن ليتش عبر عن الواقع في صورة نماذج توضح كيف يعمل النسق الاجتماعي، وإن هذه النماذج ترتبط بالتنظيم الاجتماعي والمثال على ذلك مجتمع الكاشين.

٢. تمثل تأثير ليفي ستراوس في فكر ليتش في اعتماده على التقابلات الثنائية التي تتوسطها الفئات الوسطية كما واضح في تطبيقاته، او كما يتضح على نحو هامشي في كتابه (الانساق السياسية في هضبة بورما ١٩٥٤م)، حيث إنه اعتمد على التقابلات الثنائية بتأسيسه لثلاثة نماذج وهم الجوملاو المساواتي والشان ذو التدرج الهرمي والجومسا الذي يجمع بينهما، وفي هذا الصدد لم يتأثر ليتش بفكرة النماذج لدى ستراوس وإنما استعار تلك الفكرة من النموذج المثالي لدى فيبر، ولذلك فقد اعتبر ليتش تلك النماذج مثالية.

٣. تميز ليتش عن رادكليف براون وليفي ستراوس في مفهومه للبناء الاجتماعي وما يرتبط به من قضايا أخرى، فالبناء الاجتماعي عند آدموند ليتش (هو مجموعة من الأفكار عن القوة لدى الأشخاص وجماعات الأشخاص) إلا ان مايهم هو أن البناء الاجتماعي يرتكز على نسق الأفكار الذي يتمثل في ثلاثة نماذج (الجوملاو المساواتي – والشان ذو التدرج –الهرمي والجومسا) الذي جمع بينهما.

٤. من القضايا المنهجية المميزة لليتش فيما يتعلق بالبناء الاجتماعي هي تأكيد الجانب الدينامي عند دراسة البناء الاجتماعي، فقد استعار مفاهيمه من فيبر وباريتو وهي المفاهيم التي تؤكد الاهتمام بدراسة التغير، ولم يهتم بمفهوم التضامن الاجتماعي لدى دوركايم الذي أدى بالوظيفيين البنائيين إلى الاهتمام بالتوازن والثبات.

٥. وفيما يتعلق بالبناء الاجتماعي لم يهدف ليتش إلى التوصل للمبادئ العقلية الخفية اللاشعورية التي تصدق على المجتمعات كافة كما فعل ليفي ستراوس، ولكنه حدد ثلاثة نماذج وهي (الجوملاو المساواتي والشان ذو التدرج الهرمي والجومسا)، الذي يجمع بينهما بنمط النسب الأبوي فإنه لا يستطيع ان يتحدث عنه، وبدلاً من ذلك اهتم ليتش بالتعميم الذي يركز على رؤية رياضية وبمقتضى التعميم يتم تلاشي الاختلافات بين الأنماط.

المصادر.

أبو زيد، احمد. البناء الاجتماعي. الاسكندرية: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م.

السيد حامد. البنائية- كلود ليفي ستراوس. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

ستراوس، كلود ليفي. الاناسة البنيانية. ترجمة قبيسي، حسن. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م.

لومبار، جاك. مدخل إلى الاثنولوجيا. ترجمة قبيسي، حسن. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م.

ليتش، آدموند، و كلود ليفي ستراوس. البنيوية ومشروعها الانثروبولوجي. ترجمة ديب، ثائر، د.ت.

ليلة، علي. النظرية الاجتماعية المعاصرة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م.

References.

Harris, M. Culture Materialism: The Struggle for Science of Culture. New York: Random House, 1979.

Kuper, A. Interview with Edmund Leach. London: Routledge, 1996.

Lett, James W. The Human Enterprise: A Critical Introduction To Anthropological Theory. London: westview press, 1997.

Abu Zayd, Ahmad. Al-Bina' al-Ijtima'i. Al-Iskandariyah: Dar al-Katib al-'Arabi lil-Tiba'ah wa al-Nashr, 1967 Ad.

Al-Sayyid Hamid. Al-Binawiyah- Klod Lifi Strawes. Al-Iskandariyah: Dar al-Ma'rifah al-Jami'iyah, 1996 Ad.

Strauss, Claude Levi. Al-Insaniyah al-Binyawiyah. Tarjamat Qubaysi, Hasan. Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi, 1995 Ad.

Lumbar, Jak. Madkhal ila al-Ithnulujiya. Tarjamat Qubaysi, Hasan. Bayrut: Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi, 1997 Ad.

Litch, Admund, wa Klod Lifi Strawes. Al-Binyawiyah wa Mashru'uha al-Anthropologhi. Tarjamat Dib, Tha'ir, d.t.

Laylah, 'Ali. Al-Nazariyah al-Ijtima'iyah al-Mu'asirah. Al-Qahirah: Dar al-Ma'arif, 1983 Ad.